نهضة اللغتين

« العربية والتركية »

حياة الأمم في آدابها العالية ، و بيانها الخالد ، بها تنهض ، وتسمو ، وتماشي الدهر ، وبها تستعز ؛ ولكم من أمة كفل لها بيانُ لغتها بعثها بعد أن طوى جهلُ حكامها صحيفة وجودها ؛ وفي بعث هذه الأمم التي ناهضت الترك وتناهضهم اليوم في سهول تراقية والروملي خير دليل و برهان ، فلئن هبّ علماء الغرب وشعراؤه سنة ١٨٢٠ لنجدة الأمة اليونانية فهم انما أرادوا باحيائها احياء لغة اليونان . فقد ضمنت اقلام كتبة آثينا الذاهبين الخالدين هذا الوجود الحاضر لمن استخلفوهم على لغتهم في ديارهم . فهم بما كتبوه منذ ألفي سنة بعثوا أمة اليونان منذ تسعين سنة

للغات كالأمم أدوار عزة وانكسار ، ولقد زهت لغتا العرب والفرس في أعزّ أيام دولها ؛ فكانت اللغة العربية في القرنين الثالث والرابع للهجرة في أوج عظمتها ورقيها ، وفي مثل ما نرى فيه اليوم لغات باريس ولندن و برلين . فكانت تغصّ اروقة حلقات الدرس في مدنها — وهي أشبه شيء بجامعات مدن الغرب الكبرى في يومنا الحاضر — بمئات الطلاب القادمين اليها انتجاعاً للعلم ، كما تكتظ مدارس عواصم الغرب في هذا العصر بطلاّب الشرق ، ولم أرَ أمة شذّت عن هذه القاعدة غير الأمة التركية لأسباب تضيع في شرحها وتعليلها آراء علماء الاجتماع

مرت الأمة التركية بدور عزّة وعظمة لم ينقصا في شيء عن عزّة وعظمة أرقى الامم التي مشت قبلها على وجه هذه البسيطة . فلقد جاءت عشائرها مئات من جبال الأورال في الشمال واجتمعت ملايين عند اسوار ڤينا . فكانت ككرة الثلج تزداد في تدحرجها ضخامة الى أن ضعفت فأضمحلت بفعل النواميس الطبيعية ، كما اضمحلت

الامم التي تقدمتها بفعل هذه النواميس نفسها . ولقد بلغت الامة التركية هذا المبلغ من الرقي والنهوض ، ولغتها في الحضيض ، لا شعر ، ولا بيان ، ولا آداب سامية ، فكأن تلك الحروب والفتوحات جرفت الأمة كلها في سيرها الى الموت والفناء . الا أن الباحث المدقق يجد ان الامة التركية كانت كلها منذ بدء الفتح تشغل مناصب السيادة الملكية والعسكرية فلا تعرّض مقاتل افرادها الى الهلاك الاّ على قَدَر . وما كان اولئك الذين فتحوا الديار وهاجموا الاسوار الا ابناء هؤلاء الاسرى الذين سقطوا في حروبهم مع الترك بين ايديهم فاعتنقوا الاسلام ووقفوا أجسامهم على خدمة الحرب، فسار أبناؤهم على آثارهم الى ان اضمحلت اجواق الانكشارية التي قادت أعلامها خافقة الى النصر في كل مكان ؛ فكان في استطاعة الترك في أيام عز دولتهم احياء بيان لغتها وضربها على أعناق الدهر خالدةً خلود جميع اللغات التي تقدمتها والتي جاءت وستجيء بعدها . غير أنه لم يكن شيء من ذلك . فلقد مالت شمس عظمة تلك الدولة الى الأفول والغروب وشمس نهضة لغتها لم تبزغ بعد ؛ وهذا الحادث الغريب ، الشاذّ ، من أغرب الحوادث التي يسطرها التاريخ في صحائفه لابنائه الآتين

بدأت نهضة اللغة التركية الحديثة منذ خمسين سنة مضت فأخذت ترتقي وتنمو برغم الحوائل التي حالت دون نموّها في الثلاثين سنة التي مرّت بها من حكم عبد الحميد . فكتب أدباؤها ، وترجموا جلّ مؤلفات كتّاب الغرب وعلمائهم في العلوم والفنون ، والشعر والأدب . وساعدهم على ذلك وجود حكومةٍ لهم منهم تمدّهم بعضدها ، ومدارس في كل نوع من أنواع العلوم . في العلوم الحربية والبحرية ، وفي التاريخ والحقوق والاقتصاد وعلوم التجارة والزراعة ، فامتلأت مكاتبهم بآثارهم وأخذت لغتهم في الزهو والإشراق ، والحكومة في أحرج أدوار حياتها تنتقل من انكسار الى انكسار ، ولعلّ السبب في إقبالهم على النهوض بلغتهم في هذا الدور والعصر هو الانتفاع بها كسلاح لمقاومة الفناء . فاشتغلوا باحياء اللغة لفوائدها

لا لذاتها ، كما فعل غيرهم من الأمم . فقد انصرف العرب عن الاشتغال بالمُلك الى الاشتغال بالأدب ، وانصرف الترك الى الاشتغال بالأدب ، طمعاً باستبقاء المُلك

ولقد ماشيت اللغة التركية في فروق خمسة أعوام رأيتها فيها سائرة بقدم الجبّار الى الانتشار والاعتزاز ، فعمل لها ابناؤها في خمسة أعوام مثل ما عمل لها آباؤهم في خمسين سنة ان لم أقل اكثر . وكفاني دليلاً على اتساع الحركة الفكرية في الاستانة ان أقول ان عدد مطابعها بات أربعة أضعاف ما كان عليهِ منذ خمسة أعوام . وان أجرة المرتّب التي كانت لا تتجاوز خمسة عشر غرشاً مرَّ عليها دور بلغت الستين غرشاً في اليوم

وقد رأى ادباء الترك ان لا مفرّ لهم من انشاء نادٍ يجمع شتاتهم ، يشتغلون فيهِ بايجاد الالفاظ ونحت المعاني وبعث اللغة ، فانشأوا نادياً لهم أطلقوا عليهِ اسم (فجر آتي) لم يَخلُ من فائدة في نهوضهم فكان غرّة مطلع ذلك الفجر . وعملوا مجدّين في ما أرادوه فكانت هذه الأعوام الخمسة التي مرّت بهم سنوات بركة واسعاد في اللغة (فقط) . واذا نظرنا الى كتّاب اللغتين العربية والتركية في هـذه السنوات الأخيرة نجد الآخرين أغزرَ مادة ، وأصحّ سنداً ، وأقوى بياناً

ليس مَن ينكر نهضة الآداب العربية الكبرى منذ الربع الأخير من القرن الماضي الى هذا اليوم ؛ فلقد بلغت دولة الشعر والأدب فيها مبلغ أزمانها الراقية في أيام العرب الأولى الزاهرة ، الاّ ان الحركة العلمية وما يلحقها لا تزال ضعيفةً من كل وجه ، فكتب التاريخ والعلوم قليلة لا تروي ظمأ الوارد ، ونظام العمل على النهوض بها مفقود ، فكم من كتاب ثمين بدأ ذووه بهِ وطووه . وهذه مجلدات دائرة المعارف وكتاب آثار الأدهار لا تزال تنتظر أناساً يكملون ما بدأ بهِ السلف الصالح . ففي مصر وسوريا والعراق حركة أدبية كبرى اليوم لا نظام لها ولا رابطة تربط ذويها ، على ان حصولها سهل ، واحداثها غير بعيد المنال . وفي نظارة المعارف

رجل كحشمت باشا دلّت سوابق أياديهِ على اللغة العربية على ان يديه لا تنكمشان عن مساعدتها . ففي قليل من عناية امراء هذه النهضة يُحقق الأمل ويتم الرجاء . وأول حلقة من حلقات هذا النهوض انشاء ندوة للمشتغلين بالأدب يسنّ لها نظام يربط ابناءه في مصر وسوريا والعراق حتى والمهاجر الاميركية . فتكون هذه الندوة أشبه شيء بغرّة الفجر الآتي العربي ، ونجمة هذه اللغة التي تهدي بنيها الى أفضل السبل للنهوض بها في معارج الفلاح . واذا كانت هذه النهضة الأدبيــة دليلاً على حياة الأمة العربيــة ففي تنظيمها وتسييرها في سبلها خير ضامن لها بالبقاء . فالى العمل والنهوض أيها الأدباء .

(مصر) ابراهيم سليم نجار

عهود الغادات

صديقتي العزيزة أنيسة

اليكِ مني هذا النبأ الغريب . انه لنبأ غريب ، لأنهُ كان في اعتبارك واعتباري غير محتمل الوقوع . ولكن صدق القائل « لا مستحيل على وجه الارض » . تودّين أن تعرفي هذا النبأ في الحال . ولكني أقول لكِ احزريه . ربما تظنين اني صرت غنياً عظيماً كأني اكتشفت كنزاً ، تحسبين ان الحكومة عينتني وزيراً ، او غير ذلك من الأمور الغريبة . ولكن امثال هذه الأمور — وان تكن غير منتظرة — أقرب في اعتبارك واعتباري مما سأقوله لكِ ، لانكِ لن تحزريه . وليس ذلك لأنهُ لا يحدث مثله كلَّ يوم وكلَّ ساعة بل لأنهُ كان عندنا غير محتمل الوقوع

أقول لكِ بلا تطويل في المقدّمات ان امينة قاطعتني ، وكنت أود ان اراكِ وانتِ تترددين في تصديق هذا النبإ ، بل ان ارى دهشتك وقد تحققتِ صحته لأشاهد أبلغ حالة من حالات الاندهال والتعجب . ولكن لا صبر لي على كتمان هذا